دور الفيلم الوثائقي في ترقية فعل المواطنة

The role of the documentary in promoting the act of citizenship

د. غوتي شقرون[1].

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم Ghaouti_chekroun@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/11/14 تاريخ القبول: 2020/11/21 تاريخ النشر: 2020/12/12

ملخص:

أصبح في يومنا هذا كل شيء موضوعا للصورة و العالم يخلق باستمرار من طرف الصور حتى صار زمننا عصرا للصورة بامتياز. و لهذا اكتسبت الصورة إحساسنا و ذكاءنا و فكرنا، و هي تفرض علينا اتجاهات و تصرفات و سلوكيات بفعل قوة تأثيرها، و هي تتدفق علينا باستمرار من قبل الفضائيات و كافة الوسائط الإلكترونية التي تتفنن جميعها في تقديم الصور الغثة و السمينة الجذابة و المغرية للنفس لإرباك ثقافة دول الهامش و تفتيت هويتها و فرض ثقافة الآخر و هو القوي تكنولوجيا و المالك لوسائل الإعلام و الإتصال بأنواعها. و قد أدى الإدمان على المشاهدة إلى التغريب و العزلة الإجتماعية و القلق و العنف و المفاضلة بين الأوطان. و لقد أدت الطفرة الكبيرة بداية من النصف الثاني من القرن العشرين في مجال الإنتاج السينمائي بأشكاله المتنوعة إلى اعتبار الأفلام خاصة الوثائقية قاعدة أساسية لاكتساب المعرفة، و التوعية و التحسيس بأمهات القضايا المجتمعية منها مفاهيم المواطن و المواطنة.

الكلمات المفتاحية: الفيلم الوثائقي، المجتمع المدني، المواطنة، حقوق الإنسان، الهوية.

Abstract:

In our day, everything has become the subject of the image, and the world is constantly being created by the images until our time has become the age of the image par excellence. And this is why the image acquired our sense, our intelligence, and our thought, and it imposes on us trends, and behaviors due the power of it influence , and it is constantly flowing to us by satellite channels and all electronic media that are all skilled at presenting the fat, attractive

[1] المؤلف المرسل:

and tempting Images of the soul to confused the culture the countries of the periphery and fragmentation of their identity and the Imposition of the culture of the other who is technologically powerful and owner of all kinds of media and communication. Viewing has led to alienation, social isolation, anxiety violence, and differentiation between countries. The great boom beginning in the second h half of the twentieth century, in the field of cinematography in its various forms led to considering films, especially documentaries a basics basis for acquiring knowledge, awareness and awareness of mothers of societal issues, including concepts of citizenship

Keywords: documentary film, civil society, citizenship human rights, identity

. _____

1.1مقدمة:

أصبحنا الآن نعيش زمن الصورة بامتياز و أضحى كل شيء موضوعا للصورة، و العالم يخلق باستمرار من طرف الصور و لهذا اكتسحت الصورة وعينا و إحساسنا و إدراكنا و فكرنا، و هي تفرض علينا اتجاهات و تصرفات و سلوكيات و أنماطا، و هي تلعب دورا كبيرا في حياتنا اليومية. و بذلك أصبح النظام السمعي البصري المصدر الأقوى لإنتاج القيم و تشكيل الوعي و الوجدان ذلك أن الصورة هي اليوم المفتاح السحري للمنظومة الثقافية الجديدة و نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم المحيط به. تعددت وسائط الصورة من سينما و تلفزيون و أنترنات و إذ نركز على السينما باعتبارها البداية في إنتاج الصورة و تسويقها حيث صار الإنتاج السينمائي بأشكاله المتنوعة إلى اعتبار الأفلام التي ينتمي إليها" الفيلم الوثائقي" واحدة من أهم القواعد التي تقوم عليها المعرفة المعاصرة و يتشكل معها وعي و وجدان الإنسان. و لا يخلو أي منتج سينمائي " فيلم" من كونه حامل لأطروحات فكرية و أيديولوجية تؤثر على سلوك و مواقف الأفراد من خلال خطاب ضمني منمط أدى إلى تغريب الإنسان و جعله يشك في منظومته القيمية و السياسية و من ثم الإنبهار بالآخر.

عند النظر و البحث في الموضوعات المتعلقة بالفيلم الوثائقي نلمس الإرتباط بين الجمالي و الفكري " الأيديولوجي" و جدل المعرفة و الصناعة" العلم و الفن" و الأجدر أن نوظفها في التعريف بالقيم و الهوية و ترقية فعل" المواطنة" و تكوين رأي عام مؤيد لأهداف الحكومة و مساعي الدولة، ذلك أن السينما تلعب دور الناقل و الحامل السمعي البصري لتفاعلات المجتمع المدني في علاقته مع الدولة و السلطة.

و من هذا المنطلق نطرح السؤال المحوري التالي: كيف يشتغل الفيلم الوثائقي على ترقية المواطنة و الحس المدني لدى المواطن؟

لمعالجة هذا الموضوع تناولت مجموعة من العناصر للتدقيق فيها:

2 .الفيلم الوثائقي: المفهوم و النشأة

3. وظائف الفيلم الوثائقي و أنواعه

4. المجتمع المدني: المفهوم و والوظائف

5. المواطنة و حقوق الإنسان

6. دور الفيلم الوثائقي في ترقية فعل المواطنة و الحفاظ على الهوية

7. خاتمة:

2. 1 الفيلم الوثائقي: المفهوم و النشأة

الوثائقي لفظ مشتق من التوثيق يعني التزويد أو الدعم بالوثائق مثلما يستعين بالأشخاص الحقيقيين و شهود العيان و المؤرخين الموثوق بهم. فالوثائقي يعتمد على توافر البيّنة الموثقة في البحث، و أحد شروط مصداقيته أن يستند إلى الوثائق التاريخية، أو المرجعية الوثائقية و الخلفية الوثائقية، و كل هذه الألفاظ تصب في معنى واحد.يرجع أصل كلمة الوثائقي لغة إلى: الفعل الثلاثي " وثق " بمعنى أحكم الأمر. و التوثيق: لع عدة معاني منها: الإحكام يقال " وثق الشيء بضم الثاء وثاقة: قوي و ثبت فهو وثيق ثابت و محكم. ومن بعض هذه المعاني : الإئتمان يقال: وثِقت به أي : إئتمنته. كما يعني اللفظ " الثقة حيث يقال : فلان ثقة و هي ثقة

و هم ثقة: و يجمع على ثقات في جماعة الرجال و النساء. و الوثاقة : مصدر الشيء الوثيق و المحكم. و الوثيقة في الأمر إحكامه و الأخذ بالثقة و الجمع الوثائق. أي أخذ بالوثيقة في أمره معناه: أخذ بالثقة (منظور م.، 1414) و في الصحاح: و في هذا الباب يقال : استوثقت منه أي أخذت بالوثيقة . و في هذا الباب هناك مقولة شعبية متداولة مفادها : " الثقة في الوثيقة " و الفيلم الوثائقي بذلك هو وثيقة عن مكان أو حدث أو شخص. و من الملاحظ اليوم أن الفيلم الوثائقي يطغى على نظيره الموجه للسينما ذلك أن التلفزيون كوسيط سمعي بصري استطاع كسب جمهور عريض يتابع البرامج التلفزيونية داخل منزله، كما أن تنوع الفضائيات التلفزيونية زاد من نسبة المشاهدة و صار جمهور التلفزيون يتمتع بحرية التثاوب أي الإنتقال من قناة إلى أخرى في وقت قياسي. و بذلك أصبحت الأفلام التلفزيونية في الواجهة مع قوة إنتاجها و تنوع المواضيع التي تعالجها منها الأفلام الوثائقية. أصدر الإتحاد الدولي للسينما التسجيلية تعريفا شاملا للوثائقي جاء فيه : " هو كافة أساليب التسجيل لأي مظهر للواقع يعرض بوسائل التصوير المباشر أو بإعادة بناء هذا الواقع بصدق أو تعديله لجعل المشاهد يدرك الحقيقة و فهمها أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل ". فالفيلم الوثائقي هو مادة فنية تتناول قضية حقيقية، أحداث واقعية أو أشخاص حقيقيون ذوي علاقة بالأحداث و القضايا قصد إيصال رسالة محددة للجمهور المُشاهد. و يظهر من خلال هذا التعريف أنه يمكن للمخرج أو الإعلامي الذي ينجز الأفلام الوثائقية الإستعانة بإعادة تصوير و تركيب الأحداث عن طريق التمثيل بمراعاة الحقيقة أكثر من الخيال خلافا للفيلم الروائي الخيالي، و إن كانت الأفلام الوثائقية تجمع في معظمها بين الحقيقة و الخيال طلبا للتشويق و الإثارة.

2.2 نشأة الفيلم الوثائقي (التسجيلي):

يطلعنا النقاد السينمائيون أن السينما بدأت بداية تسجيلية (توثيقية) مع الإخوة لوميار " لويس و أجيست " سنة 1895 على شكل مشاهد و تقارير عن أحداث و مواضيع. فكانت الكاميرا تسجل كل ما يمر أمامها أو تراه بدون تدخل. إن ما قاما به الإخوة " لوميار " هو

تجريب سينمائي عفوي في تسجيل لحظات اجتماعية تم توثيقها بالصور، يمكن دراستها في تلك الفترة لاحقا باعتبارها وثيقة ذات قيمة إنسانية و حضارية نقلت بدون روتوش (مونتاج)، بمعنى أنها سُجلت كما هي في الواقع عن طريق " السينماتوغراف " (culture, 1994) حيث كان الكاتب السينمائي الفرنسي " روبير بريسون " يفضل إستعمال هذا الإسم لفن السينما و لفظ " الموديل " بدل الممثل. ظهر لفظ الفيلم التسجيلي مع البداية الأولى للسينما الصامتة بفرنسا و قد استُخدم السينماتوغراف لتسجيل النشاطات و الرحلات كخروج العمال من المصنع، و وصول القطار إلى المحطة حيث كانت الكاميرا تلتقط الصور من الشوارع و الحدائق و الشواطئ و كانت هذه الأفلام عبارة عن تسجيل إخباري للأحداث الواقعية عاكسة للحياة الإجتماعية في فرنسا مثل الفيلم التسجيلي (قبو المقهى الكبير) ل" لويس لوميار " كما شهدت مدينة نيويورك في أفريل 1895 عرضا للصور المتحركة بفضل اختراع " توماس أديسون " الأمريكي لجهاز " الكينتوسكوب" Kinétoscope وهو عبارة عن آلة تصوير (كاميرا) ثم انتشرت التقنية تباعا على مستوى أوروبا و أمريكا لتسجيل وتوثيق الأحداث. يعتبر مؤرخوا السينما أن الفيلم التسجيلي هو أب السينما، و هو بدايتها لذلك اكتسب صفة الشرعية كما اكتسبها " الخبر " على باقي فنون التحرير. ولد مصطلح الفيلم الوثائقي من رحم الممارسة المبكرة ولادة صاحبها ارتباك في تسميته فمنهم من أطلق عليه اسم الفيلم التعليمي و سماه آخرون الفيلم الواقعي و الفيلم التشويقي و الفيلم التسجيلي كما ذهب إليه السينمائي المصري " سعد نديم " الذي كان أول من ترجم المصطلح إلى تسجيلي. كانت البدايات الأولى لمفهوم الفيلم التسجيلي مع الفرنسيين معبرا عن أفلام الرحلات و هي أفلام تعتمد على تصوير المكان الحقيقي تقدم للمتفرج صورا عن البلدان لتعريفهم بمختلف المناطق و عاداتها و تقاليدها و فنونها. لم يعرف الفيلم الوثائقي إلا مع مطلع القرن العشرين، و ما كان قبله مجرد مشاهد و تقارير عن أحداث، و مع بداية القرن العشرين تحديدا بدأ يتشكل المفهوم الأول للفيلم الوثائقي و حتى سنة 1907 كان يسمى بالعرض

الوثائقي و قد ظهر المصطلح أول مرة بفرنسا على يد السينمائيين الفرنسيين الذين استخدموا تسمية " الفيلم الوثائقي " "Film Documentaire" لتلك الأشرطة التي قام بتصويرها هواة الرحلات عبر مناطق مختلفة في مطلع القرن العشرين و التي اتخذت صفة التسجيل التوثيقي المحض.كانت تلك الفترة مرحلة تسجيلية بامتياز. هناك عدد من التعريفات قدمها السينمائيون و النقاد حول مصطلح التسجيل Enregistrement من وجهة نظرهم الفنية، منهم رائد السينما التسجيلية " جون جريرسون" John Grierson الأسكتلندي الذي اقترن اسمه بالسينما التسجيلية مستخدما المصطلح بأسس و معايير محددة : " الفيلم التسجيلي هو المعالجة الخلاقة للواقع " (Grierson, Chronique critique du film doc Moana, 1926) التي تقدم الحقيقة خالية و صافية من أي تدخل. يتميز الفيلم التسجيلي عن أشكال الإنتاج السينمائي حسب " جريرسون " تبعا لأغراضه و طريقة تحضيره و مجالاته، و هي عنده نوعين: النوع الأول : و هو الذي يرى أنه يجب أن يقتصر عليه مصطلح الأفلام التسجيلية التي تحتوي مغزى سياسيا اجتماعيا و تقدم معالجة خلاقة لموضوعاتها و تعكس وجهة نظر المخرج.

- النوع الأدنى : و هو الذي يشمل بقية أنواع الإنتاج السينمائي التسجيلي كالمجلات السينمائية و أفلام المعرفة و الافلام العلمية و أفلام الرحلات التي تعكس الواقع دون تقديم رأي أو تدخل " (علي ا.، 2002، صفحة 13) يطرح هنا " جريرسون " نموذجين للفيلم التسجيلي بمستويات مختلفة في تصوير الواقع و محاكاته من وجهة نظر صاحبه باختيار المادة الواقعية و إعادة ترتيبها بأسلوب فني خلاق يعكس رؤية المخرج أو الإكتفاء بتسجيل الواقع كما هو سواء كان واقعا طبيعيا أو حدثيا كتصوير الأحداث الهامة و تسجيل مقابلات مع كبار رجال الدولة.

أما السينمائي " بيار لورنتز" فيرى أن الفيلم التسجيلي هو فيلم:" يتعامل مع الحقيقة بشكل درامي و أن هناك عوامل كثيرة يمكن استغلالها دراميا في الواقع حيث أن الدراما ليست وقفا على الفيلم الروائي..." (Barnouw, 1976, p. 114). يشير هذا التعريف إلى التعامل مع الأفلام

التسجيلية بأسلوب فني في استغلال عناصر الطبيعة المتاحة و الإنسان عن طريق إبراز الصراع القائم بينهما (الطبيعة و الإنسان) بشكل درامي. و هذا ما عبر عنه " بيار لورنتز " في فيلمه التسجيلي (النهر) من خلال التركيز على العلاقة القائمة بين الإثنين و الأضرار البشرية التي تؤثر على المحيط الطبيعي. و إذا كانت الأفلام التسجيلية تعني صناعة الأفلام غير الروائية، فهذا لا يمنع من استخدام الخيال ، صحيح أن مخرج الفيلم الوثائقي يستعين بممثلين حقيقيين لتجسيد شخصيات بعينها و وقائع محددة، لكنه في النهاية يسرد وقائع تاريخية و اجتماعية و سياسية حدثت بالفعل، رغم أنه قد يمزج بين الرواية و التوثيق فيما يسمى بالفيلم العابر للنوعية و هو الفيلم الوثائقي الروائي لكنه أيضا يحكي في النهاية عن أشخاص حقيقيين و ملابسات تصرفاتهم و سلوكهم في محاولة للفهم و استجلاء الحقيقة.

3- وظائف الفيلم الوثائقي و أنواعه:

1 .3 الوظائف:

يكتسي هذا الجنس السينمائي التلفزيوني أهمية قصوى في تحسين الذوق العام للمشاهد عن طريق تقديم المعلومة الجيدة و الجديدة و بناء ثقافة تتماشى و متطلبات العصر بالإضافة إلى " إحياءه وعي الأمة المعبر عن الهوية و القيم و الأخلاق و الثقافة، و ذلك باستذكار محتوى التاريخ القديم و ربطه بالحديث و إعطائه نظرة على المستقبل قصد نشر العادات و التقاليد و الأفكار بين مختلف الشعوب وتوعية المجتمعات..." (نصار، 2007، صفحة 67) يتسم الفيلم الوثائقي بوظائف متعددة في ميدان التعليم و التسجيل التاريخي والإعلام و التوثيق.

1-الوظيفة الإعلامية :

و هي الوظيفة الإخبارية الأساسية في وسائل الإعلام و الإتصال عبر الأنواع الصحفية، و الفيلم الوثائقي بدوره يقوم بهذه الوظيفة التي تهدف إلى شرح المعلومات و تفسيرها و جعل الناس يفهمون البيئة المحيطة بهم كما أنها تزود الأفراد بالمعلومات الجديدة التي تعود عليهم

بالفائدة حاضرا و مستقبلا، و تتيح لهم فرصة إبداء الرأي حول المشاريع التي تقوم بها الدولة في جميع المجالات " فالأفلام أسلوب من أساليب الاتصال الجماهيري يقوم بتزويد الناس بالحقائق الثابتة و الأخبار و المعلومات السليمة..." (كامل، 1995، صفحة 102،103).

2-الوظيفة الدعائية:

المقصود بالدعاية هنا ترويج المعلومات التحسيسية لأن الفيلم الوثائقي له إمكانيات كبيرة في إيصال الرسالة للمتلقي " أي أنه يقوم بدور مهم في تجسيد وظيفة الحكومة و مساعي مؤسسات الدولة و إبراز إنجازاتها في مختلف المجالات لتكوين رأي عام مؤيد لبرامج و أهداف الحكومة في مجال التنمية الشاملة." (الرزاق، صفحة 76).

3-الوظيفة التعليمية :

وهي وظيفة ذات قيمة مضافة بحيث تستخدم في مؤسسات التربية و التعليم بمختلف أطوارها و كذلك عبر قنوات الإتصال لتمس المجتمع ككل، و هو ما يطلق عليه اسم الفيلم الوثايقي التعليمي الذي يعالج المواضيع التعليمية " فالتربية ترمي إلى تنمية القدرات العقلية و القوى الروحية و تهذيب الذوق العام لدى الأفراد" (بكار، 2011، صفحة 11).

4- وظيفة التسجيل والتوثيق:

يبدو أن هذه الوظيفة هي منطلق و دواعي ظهور الفيلم الوثائقي غبر التاريخ باعتباره و ثيقة تؤرخ للأحداث و الأشخاص و الأماكن، و المساهمة في نقل تجارب و خبرات الآخر و المحافظة على التراث الحضاري و نقله للأجيال الآحقة، و يشمل التوثيق البيئة الإجتماعية و السياسية و الثقافية " فالتوثيق عبارة عن جمع المعرفة المسجلة و توفيرها و ذلك حتى تنال المعلومات الوثائقية أكبر قدر من الإستخدام و التعميم" (ناتوت، 2009، صفحة 60) مما يسمح بتفسير الظواهر للناس و جعلهم يندمجون في مجتمعاتهم و إقناعهم بواجباتهم نحو الوطن و الأمة، و غرس روح الوطنية فيهم بالحجج الإقناعية.

3. 2 أنواع الفيلم الوثائقي:

تتخذ الأفلام الوثائقية تقسيمات تبعا لمضمونها المعالج عبر المتن، ذكر من هذه الأنواع:

1-الأفلام الوثائقية العلمية: و هي أفلام تتناول مضامين علمية و معرفية و تثقيفية بالدرجة الأولى، تقوم بعرض المعلومات الدقيقة و التجارب العلمية في المجالات ذات الصلة بالعلوم كالأمراض العصبية وأفلام الطبيعة و غيرها من الموضوعات، فهي تعالج كافة القضايا العلمية و البحثية " و تقوم على ثلاثية: الملاحظة و التجريب و البرهان" و هي تشمل أفلام البحوث و الدراسات الإستكشافية المتعلقة بالكون والكائنات الحية. و يعد " جون بانلوفيه" (Painlevé, 1902,1989) من أبرز مخرجي هذا النوع ، تتسم أشرطته بالدقة الوصفية و تصوير الانفعالات و العواطف التي تهز الذات البشرية أمام غرائب الطبيعة و غموضها.

2- الأفلام البيئية: و هي أشرطة وثائقية تهتم بتصوير كل الظروف الفيزيقية المحيطة بالإنسان والعوامل التي تؤثر في الكائنات الحية، و بشكل خاص في الإنسان و تصنف إلى البيئة الطبيعية و العمرانية والاجتماعية والاقتصادية و السياسية. توظف أساليب المنهج التسجيلي في تحقيق أفلام عن الحياة النباتية و المائية و الحيوانية أما البيئة السياسية التي يندرج تحتها موضوع بحثنا فهي" النظم السياسية و الإدارية في تسيير الشأن العام كالحكم الرسمي في الدولة سياسيا و إداريا و قانونيا، و جميع المؤسسات الرسمية و غير الرسمية." (الجردان، 2009، صفحة 39).

3- الأفلام التاريخية: و هي التي تنقل لنا أحداث و قضايا الماضي، و التي تتحدث عن الأزمنة الغابرة بكل أبعادها الحضارية و السياسية و الدينية و المواقف البطولية التي كان عليها السلف.

4- الأفلام الثقافية: يطلق هذا المصطلح (غرليس، 1919) على تلك الأشرطة التي تتناول مواضيع مختلفة مثل العلوم و الفنون و الثقافة و التعريف بالتراث المادي و اللامادي بهدف نشر المعارف و العلوم بين الجماهير.

5- أفلام التوعية والإرشاد: التي ترمي إلى نشر و تعميم المعلومات و الفوائد العامة للمتلقي، و توسيع آفاق التفكير و هي موجهة " لفئة العمال و الفلاحين و التجمعات المهنية و الحرفية بهدف توعيتهم وتزويدهم بالمعلومات قصد تطوير مهاراتهم الحرفية." (أيوردفسكي، 1987، صفحة 161)

6- أفلام السيرة الذاتية: وهي تتناول أساسا حياة الأفراد الذين شكلت تجاربهم نموذجا يقتدى به. و يمكن تصنيفهم إلى فئتين: الفئة المبدعة و المشاهير في مختلف المجالات، و فئة الناس العاديين و هم الذين يمكن اعتبارهم نماذج لظواهر سلوكية قابلة للتعميم." تقع سينما السير الذاتية تحت تصنيف أفلام الدراما و البطولة بغض النظر عن الزمان سواء كان ماضيا أو حاضرا" (هيليارد، 2003، صفحة 231).

4. المجتمع المدني: المفهوم و الوظائف

1.4 ما هية المجتمع المدني ؟

ترجع الصياغة الأولى لمفهوم المجتمع المدني إلى الباحث" آدم فيرغسون" الذي عني به انتقال المجتمع من حالة الوحشية إلى التحضر، و من ثم دخل المفهوم مجال الفكر السياسي و الإجتماعي. وهو مصطلح أوروبي قديم تمت صياغته خلال النصف الثاني من القرن 18 لإبراز تحول المجتمع الأوروبي من الاستبداد إلى الديمقراطية البورجوازية، و قد اختفى هذا المفهوم منذ القرن 19، و قد ظهر مرة أخرى على يد " غرامشي" بعد الحرب العالمية الأولى.أما الفيلسوف " هيجل " فقد أشار إلى أن المجتمع المدني يتموقع بين الأسرة و الدولة، و حسبه فإن المجتمع المدني يتكون من التنظيمات والنشاطات التي تقوم على أساس تعاقد حر بين الأفراد خارج إطار العائلة و الدولة. يرى الباحث " سعدالدين إبراهيم " إن "مفهوم المجتمع المدني يتجاوز المصالح الآنية الضيقة إذ أن هدفه هو الصالح العام و منشأه و دافعه هو العمل الحر الطوعي لفائدة المجتمع بل هو صمام الأمان للدولة و هو بارومتر التوازنات التي تحدث في المجتمع و هو فوق هذا أداة التوازن و التنظيم تقف بين تسلط الدولة و بين

المجتمع و تطلعاته". و يعرفه الفيلسوف الإنجليزي بأنه " المجتمع المنظم سياسيا عن طرق الدولة القائمة على فكرة التعاقد" (بشارة، 1997، صفحة 391).

وبذلك يكون المفهوم قد ارتبط و تداخل مع مفاهيم أخرى كالدولة الحديثة (دولة الحق و القانون) و الديمقراطية و حقوق الإنسان. و إذا كان هذا المصطلح قد تطور في موطنه الأصلي و حقق التوازن بين السلطة و المجتمع في أداء الواجب و نيل الحق، فإنه قد تعثر في واقع المجتمعات العربية أو ما يعرف بدول الهامش " العالم الثالث" كالواقع الجزائري الذي يبدو فيه المجتمع المدني أداة من أدوات السلطة تحركه حسب أجندتها و أهدافها. و إن كانت التجربة التعددية السياسية و ميلاد الحركة الجمعوية من أكثر العوامل على قيام المجتمع المدني في الجزائر بكل تناقضاته و صراعاته مع السلطة السياسية وأجهزتها. و ينبغي ان تتوافر شروط لتكوين المجتمع المدني كالفصل بين مؤسسات الدولة و المجتمع المدني و قيام فكرة المواطنة و ما يرتبط بها من أفكار كالحقوق المدنية و السياسية و ظهور الفوارق بين الديمقراطية التمثيلية في الدول الرأسمالية و الديمقراطية المباشرة في التنظيمات الطوعية و المؤسسات الحديثة في المجتمع. شروط ينبغي الامتثال لها لترسيخ الممارسة الديمقراطية و ضمان حقوق الإنسان. وقد يشمل مفهوم المجتمع المدني دلالات كالحقوق المدنية و التعاقد و الإنتخابات و حقوق المواطنة وهي أفكار لا بد منها لبناء الديمقراطية. و يرى البعض أن المجتمع المدني هو: " مجموعة من المؤسسات الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية الغير حكومية و غير إرثية تشكل الروابط الإجتماعية بين الفرد والدولة" (شعبان، 2009، صفحة 34). كما تشير الدراسات الإسلامية إلى الإهتمام بموضوع المجتمع المدني بداية من عهد ما قبل الهجرة النبوية ثم ظهرت الدولة المدنية (وثيقة المدينة المنورة أو دستور المدينة) التي مثلتها دولة الرسول صلى الله عليه و سلم و استمرت حتى العهود الإسلامية المتأخرة حيث نظمت المؤسسات الإجتماعية الإسلامية بغرض تنظيم الحياة. " نجد في تلك الفترة الدولة و

المجتمع و الحكومة وفقا للتشريع الإسلامي كانت تمثل مجتمعا مدنيا" (كريم، 2005،2004، صفحة 10).

2.4 وظائف المجتمع المدني:

تتمثل وظائف المجتمع المدني في كونه أداة توازن و رقابة بين السلطة و المجتمع فهو: - يحقق الإنضباط المجتمعي من خلال ضبط و تنظيم سلوك الأفراد و الجماعات.

- يعمل على ترسيخ الديمقراطية لدى الأفراد عن طريق المشاركة الفعالة و الإيجابية.

- ضمان الحقوق و حمايتها و الدفاع عنها كحرية التعبير و التجمع و التنظيم و تأسيس الجمعيات وتحقيق العدالة و المساواة و المشاركة في الإنتخابات و حرية التصويت و نقاش القضايا المجتمعية.

- إدارة الشأن العام في حالة غياب الدولة نتيجة للأزمات.

- توفير الخدمات و مساعدة الفئات الهشة في المجتمع كالأنشطة الخيرية و الخدمية.

- تحقيق التكافل الإجتماعي و المساهمة في التنمية الشاملة عن طريق المهارات و القدرات المتوفرة في الأوساط الشعبية.

وبما أن مؤسسات المجتمع المدني هي حلقة وصل بين الدولة و الأفراد فإنها تعمل ضمن منظومة من الأفكار و الممارسة و التي تقوم على المبادئ الآتية:

- المشاركة في صناعة القرار السياسي.

- التداول السلمي على السلطة.

- التعددية السياسية

- مبدأ استقلالية القضاء و سيادة القانون

- المواطنة.

5. المواطنة و حقوق الإنسان:

5.1 المواطنة: لغة مأخوذة من الوطن و هو المنزل تقيم به و هو موطن الإنسان و محله، و الوطن: مكان إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد (منظور ا.، 1993، صفحة 338). أما

مواطنة: فهي مصدر الفعل " واطن" بمعنى شارك في المكان إقامة و مولدا... (العدناني، 1984، صفحة 725) و منه المواطن.

أما اصطلاحا: هي التزامات متبادلة بين الأشخاص و الدولة. و جاء في دائرة المعارف البريطانية أنها: " علاقة بين فرد و دولة كما يحددها القانون في تلك الدولة، و بما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات داخل الدولة " (الحفيظ، 2007). يعتبر مصطلح المواطنة ذا جذور تاريخية في الحضارات، و إن كان المفهوم يتميز بالشمولية و التعقيد، و قد استقر في الفكر السياسي المعاصر بمعنى العلاقة بين السلطة و الأفراد من جانب الحقوق و الواجبات و الرقابة و المشاركة في اتخاذ القرارات و غيرها من المعاني... إن الفكر السياسي ينتج انطلاقا من حراك اجتماعي معقد تتحكم فيه السيرورة التاريخية ..." (الس).

2.5 أسس المواطنة: يقوم مبدأ المواطنة على مجموعة من الأسس:

- أولا: المساواة و تكافؤ الفرص:

تتحقق المواطنة بتساوي كل المواطنين في الحقوق و الواجبات، وأن تتاح للجميع نفس الفرص، وأن يكونوا سواسية أمام القانون المحدد للحقوق و الواجبات. و إذا كانت الشراكة و التعايش و التعاون والإقامة بالوطن من العناصر الأساسية التي يفترض توافرها بين المنتمين لنفس الوطن فإنها " تختل وتتزعزع في حالة فقدان احترام مبدأ المساواة، حيث يؤدي إلى انتشار الفوضى و تهديد الأمن والإستقرار" (غليون، 2006، صفحة 14). فالوطن المتعدد الأصول و العقائد و الانتماء السياسي و الثقافي لا يمكن ضمان وحدته واستقراره إلا بتكريس المواطنة تحت مبدأ المساواة بين الجميع بدون استثناء.

- ثانيا: المساهمة في الحياة العامة:

يقوم مبدأ المواطنة على المشاركة الحقيقية للأفراد في مناحي الحياة العامة و استعدادهم لذلك متى توفرت الحريات و تقبل الرأي الآخر من طرف السلطة، و التي يجب عليها الإمتثال للأفكار النقدية حول السياسات المتبعة و حول الحكام " ... و لا يتأتى نمو استعداد

المواطنين للمساهمة في الحياة العامة إلا في ظل حرية الفكر و التعبير و حرية الإنتماء و النشاط السياسي و النقابي " (كيسلاسي، 2006، صفحة 45). و بذلك يفتح المجال التنافسي النوعي الذي يضمن فعالية النخب السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية لتغيير المشهد الوطني.

- ثالثا: الولاء للوطن:

والذي يحس فيه كل مواطن بأنه معني بخدمة وطنه، و المشاركة في النهوض به و السهر على حماية البيئة و الاستعداد للتضحية من أجله. كما يعني الولاء السمو عن العلاقات الإثنية و اللغوية و الحزبية، و إنما تتجلى هذه الرابطة العضوية الوجدانية بين الفرد و الوطن في " إدراك و اعتقاد المواطن بأن هذه الإلتزامات و الواجبات نحو الوطن لا تحقق المواطنة دون الإلتزام بها عن طواعية " (رفيق، 2012، 2013، صفحة 54). لقد ساهمت المواطنة كمبدإ اجتماعي و قانوني و سياسي في تطور و رقي الدولة، و انتشار العدل و المساواة و الحريات كسبل لضمان الإستقرار و الأمن للوطن.

3.5 حقوق الإنسان: اكتسى هذا المفهوم أهمية قصوى في المجتمعات المعاصرة حيث اهتمت به مختلف التشريعات، و قد تولد من الثورتين الأمريكية و الفرنسية و على إثرهما بدأ الإهتمام الدولي بحقوق الإنسان و حرياته الأساسية. يتكون المفهوم من لفظين هما: الحقوق و الإنسان أي أن الإنسان هو الموضوع و صاحب الحق و الحرية. و إذا رجعنا إلى مفهوم الحق مفرد للجمع(الحقوق)، نجد معناه اللغوي عكس الباطل، و هو موجود ثابت لا يسوغ إنكاره، و قد ورد اللفظ في كثير من آي القرآن الكريم منه قوله تعالى: " و لا تلبسوا الحق بالباطل " (سورة البقرة، آية 42) و يعرف من جانب آخر على أنه " طلب أو امتياز أو سلطة أو حصانة يمتلكها الأفراد في مواجهة الدولة، فتصبح بمثابة قيود عليها يدفع صاحب الحق إلى المطالبة به استنادا إلى أسس أخلاقية و ثقافية مقبولة في المجتمع" (آخرون، 2008، صفحة 144). و لقد شاع مصطلح حقوق الإنسان منذ القرن 19، و تختلف هذه الحقوق من مجتمع إلى آخر و هي تلك " الحقوق التي يتمتع بها الإنسان، لمجرد كونه إنسانا و هذه الحقوق يعترف بها

للإنسان بصرف النظر عن جنسيته أو ديانته أو عرقه أو وضعه الإجتماعي أو الإقتصادي، و هي حقوق طبيعية يملكها الإنسان حتى قبل أن يكون عضوا في مجتمع معين فهي تسبق الدولة و تسمو عليها" (فودة، 2006، صفحة 2). و هي حقوق فردية و جماعية حددها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948. يتكون الإعلان من ثلاثين مادة، احتوت على قائمة الحقوق السياسية و المدنية و الاجتماعية و الثقافية و الإقتصادية، و صار الإعلان ملزما للمجتمع الدولي" و أصبحت معظم الحقوق التي نص عليها مدرجة في الدساتير الوطنية و التشريعات المحلية في معظم دول العالم " (الطائي و الدريدي، 2010، صفحة 47).

6. دور الفيلم الوثائقي في ترقية فعل المواطنة و الحفاظ على الهوية:

رسمت الصورة إستراتيجيتها و صارت من أهم قواعد المعرفة الحديثة عبر السينما و التلفزيون وباقي الوسائط، حتى أننا نعيش عصر الصورة أو حضارة الصورة على حد قول الناقد الفرنسي " رولان بارث " و لا أحد يستطيع أن يتجاهل قوة تأثيرها بدليل أنها هي من يقود الحروب (الإستباقية) و يرسم معالم التفوق و الهيمنة على جميع الأصعدة. و نظرا لتغلغلها داخل المجتمع فلا يمكن تصور العصر الحديث و الحياة المعاصرة بدون صورة. و يبدو أن ثقافة الصورة مفروضة علينا فرضا، فهي تقتحم بيوتنا و تؤثر على ثقافتنا و أفكارنا و ليس لنا سيطرة عليها نظرا لقابلية تكرارها و تدفقها المستمر. فهي ثقافة المستقبل و ثقافة القوي و قد كسرت حاجز التلقي، فالكل يشاهدها بانبهارية و شغف كبير، مع أنها قلبت تماما دور المجتمع عامة و الأسرة خاصة و اغتصبت الذات و انتهكت الحرمات و الخصوصيات. والفيلم بصفة عامة هو وسيط تقني يتحول إلى أداة تعبير و وسيلة من وسائل الإتصال و التواصل، وممالا شك فيه أن الفيلم الوثائقي هو أحد هذه الوسائط التعبيرية التي يمكن لها أن تساهم في ترقية فعل المواطنة و الحفاظ على الهوية و الخصوصية عبر مضامين و رسائل إعلامية ممنهجة. إذ أن الصورة المرئية خلقت عالما افتراضيا موازيا للواقع و أصبحت بديلا له، و خطورتها ليست في ذاتها بل في سياقها و صارت المجتمعات الهشة أكثر

استهلاكا و إدمانا لها و قد غيرت اتجاهاتها و سلوكها و نمطت حياتها من خلال ما يعرف بالعولمة الإعلامية و الإعلام المؤدلج (هوإ).

يساهم الفيلم الوثائقي في بناء وعي المواطن و توجيه سلوكه واهتماماته نحو المصلحة العامة وتغيير الصورة النمطية التي رسمها الغرب لتشويه الحقائق وقيم الأمم والشعوب مثل: صورة المسلمين لدى الغرب. ومنه من يهتم بقضايا الصحة و البيئة وإحياء التراث و التطوع و التاريخ والميز العنصري و آثار الحروب و النزاعات المسلحة وغيرها من المواضيع ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية والثقافية و السياسية. ذلك أن الفيلم الوثائقي هو فيلم خال من الهزل و الترفيه الزائد و جاد يعلمنا شيئا ما، و ترتبط أهميته بفكرة الجمهور كظاهرة اجتماعية مواطنية،" إن الجمهور ذلك الهيكل الذي يمثل أهمية بالغة لسلامة أي مجتمع ديمقراطي، ليس مجرد جمع من الأفراد " (ديوي). من هذا المنطلق يمكن اعتبار الفيلم الوثائقي أداة للتوعية و التكامل الإجتماعي، خاصة إذا رافق نشاطات التنظيمات و الهيئات المنضوية تحت المجتمع المدني نظرا لقدرة ممثليه لتوحيد الجمهور، و جعله يعمل من أجل المصلحة العامة و إمكانيات المجتمع المدني في مسائلة السلطة تبعا للقوة و التأثير الذي يمارسه عن طريق قنوات الإتصال و التواصل منها السينما " الفيلم الوثائقي ". و هذه بعض النماذج التوثيقية التي تناولت قضايا المواطنة من زوايا مختلفة كدور المؤسسات الإجتماعية و الثقافية و الدينية و الإعلامية في تحقيق وترقية الحس المدني.

1.6 "مدرسة التغيير" (خروبي و شيفمان): فيلم وثائقي عن دور المؤسسة التربوية في صناعة المواطنة، من إعداد " شرقي خروبي و آن شيفمان" يتناول مضمون الفيلم دور و أهمية المؤسسات التعليمية في تحقيق المواطنة وصناعة الوعي. ينتقل المخرجان خلال 93 دقيقة بين مختلف أقسام الثانوية التي تتبنى التفاعلية والمشاركة الفعالة في التلقين و ترك هامش من الحرية للتلاميذ لإبداء الرأي. أفرزت هذه التجربة قيمة البيداغوجيا النشطة في بروكسل بثانوية تضم أعراقا و ثقافات مختلفة. و أبرز الفيلم ضرورة أن تكون المدرسة أداة في صناعة المواطنة و تعلم الديمقراطية و المساهمة في بلورة الأفكار و اتخاذ القرارات بالمشاركة في

الأمور التي تهم حياة التلاميذ داخل المؤسسة كتنظيم أقسام الدراسة و طرق التدريس و التقييم...باستقلالية تامة عن توجيهات الأساتذة بهدف فهم معنى المشاركة الفعالة و تحمل مسؤولية القرار في إطار مفهوم المواطنة.

6. 2 "مواطنون فاعلون " هذا عنوان شامل يصلح لإنجاز عديد الأفلام الوثائقية ذات الصلة بالتراث الجزائري مع إبراز أهمية توظيف الشباب في إحياء الموروث الثقافي، كتجارب المجتمع المدني في إنقاذ الأحياء العتيقة في المدن الجزائرية التي تعاني من الإهمال في مجالي الصيانة و الحفاظ على الأنماط العمرانية المميزة التي يمكن استثمارها و استغلالها كمصدر سياحي لجلب الثروة. فالسينما عبر الفيلم الوثائقي لها القدرة لإعادة الإعتبار للتراث المادي و اللامادي كعنصر أساسي لبناء المواطن و ربطه بمجتمعه، ذلك أن حب الوطن من الإيمان. و في سياق ذات صلة هناك ظواهر و مواضيع كحماية البيئة و الأعمال التطوعية و التطرق للبطالة و الرعاية الصحية و الحوار المتحضر الذي يعزز السلم و الأمن و التعايش، و كافة أشكال الأنشطة الخيرية التي تتكفل بها تنظيمات المجتمع المدني، هي مضامين ذات أهمية بالغة للأفلام الوثائقية التحسيسية و التوعوية لبناء مواطن قادر على التأثير في القرارات المحلية و الوطنية و الدولية. كما أن كثيرا من الدول إن لم يكن معظمها تستعين بالوسيط السينمائي لحل مشكلات التنمية و استدراج المواطن في مختلف العمليات عبر حوار فعال في صناعة القرار. ارتبط الفيلم الوثائقي الجزائري في بدايته بحرب التحرير ثم بمعركة بناء المجتمع بعد الإستقلال، و بقي في هذا المنحى كوسيط إرشادي و تحسيسي و تعليمي يتناول قضايا المجتمع الجزائري التاريخية و الثقافية و الإجتماعية شأنه في ذلك شأن الفيلم التسجيلي عبر العالم، الذي يعتبر نموذجا للأفلام الدعائية الحكومية التي تنتجها الدوائر الرسمية في المناسبات الوطنية و الدينية بهدف نشر الوعي الوطني في أوساط المجتمع. و هناك أمثلة تاريخية نذكر منها أن الرئيس الأمريكي " فرانكلين روزفلت" عندما أراد إقناع الأمريكيين ببرامج حكومية جديدة باهظة التكاليف، استعان بأفلام وثائقية تحسيسية و

ببعض أبرز القصائد المرئية ل" بيار لورنتز" لاستمالة الأمريكيين و جعلهم يدعمون مخططاته التنموية و يؤيدون قراراته. و قد ساعدت أفلام وثائقية ك" المحراث الذي حطم السهول " الذي أنتج سنة 1936، و فيلم " النهر" سنة 1938، في تحفيز وإشراك دافعي الضرائب في برامج عززت الإستقرار و النمو الإقتصادي بأمريكا. و هناك أفلام أنتجت خصيصا لتنظيم تحرك تشريعي مضاد للشركات المستغلة أنذاك، منها فيلم ل " وول مارت" حول التكلفة العالية للأسعار المنخفضة سنة 2005، و الفيلم عبارة عن نقاش مجتمعي حول ظاهرة ارتفاع الأسعار، نفذ بأسلوب تشويقي لهذه المشكلة العامة. عمد مخرجوا الأفلام الوثائقية لمعالجة الظواهر الإقتصادية والإجتماعية و المشكلات الثقافية عبر هذا الوسيط السينمائي الفني الذي لا يستهدف الربح التجاري بقدر ما يستهدف أحاسيس و سلوكات و مشاعر المواطنين لترقية فعل المواطنة لديهم ، و زرع روح المشاركة و التكافل و التضامن داخل الأوساط الشعبية التي ينظمها و يفعلها و يؤطرها المجتمع المدني.

7. خاتمة:

يمثل الإنتاج الوثائقي كجنس سينمائي تلفزيوني أحد الأشكال و المخرجات السمعية البصرية التي يمكن استثمارها للوصول إلى الجماهير الشعبية على اختلاف فئاتها، بهدف التأثير عليها و توعيتها وتحسيسها لاستنهاض الهمم و القيم الإجتماعية و السياسية و الثقافية لديها. و تكوين رأي عام وطني قادر على التأثير في صناعة القرار، و لذلك فإن الفيلم الوثائقي هو أداة فاعلة في التنمية، و في الحفاظ على التراث و تعزيز الإنتماء الوطني خاصة في عصر ثقافة الصورة التي أصبحت تمثل عنصرا رئيسيا في مصادر المعرفة، و صارت الصورة الفيلمية مفردة من مفردات اللغة المرئية لها القدرة على الإيحاء والتأثير عبر خطاب مرئي معولم حامل للمعارف العامة و المعلومات.

قائمة المراجع:

(بلا تاريخ).

(بلا تاريخ).

Barnouw, E. (1976). Documentary a history of the non fiction film. *Oxford university press* . London, oxford, new york: Oxford university.

Grierson. (1926). Chronique critique du film doc Moana. *New york sun* .

Grierson. (1926). Chronique critique du film doc Moana. *New york sun* .

.Lettre du premier siecle du cinéma no 7 .(Decembre, 1994 03) .Ministre de la culture .France . *Cinématograhe*

Painlevé, J. (1902,1989). Réalisateur, Scénariste cinéma scientifique.

ابن منظور. (1993). *لسان العرب* (الإصدار ط، 2، المجلد ج 15). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، مادة وثق.

الحديدي، إمام علي. (2002). *أسس الفيلم التسجيلي*. دار الفكر العربي.

الحديدي، إمام علي. (2002). *أسس الفيلم التسجيلي*. دار الفكر العربي.

الحديدي، علي. (2002). *أسس الفيلم التسجيلي*. دار الفكر الربي.

السيد عبد الحميد فودة. (2006). *حقوق الإنسان بين النظم القانونية و الشريعة الإسلامية* (الإصدار د، ط). الأسكندرية: دار الفكر الجامعي.

إيريك كيسلاسي. (2006). الديمقراطية و المساواة. *ط، 1* ، 45. (جهيدة لاوند، المترجمون) بغداد: معهد الدراسات الإستراتيجية.

أيمن عبد الحليم نصار. (2007). *إعداد البرامج الوثائقية*. عمان، الأردن: دار المناهج للنشر و التوزيع.

بركات كريم. (2005،2004). مساهمة المجتمع المدني في حماية حقوق الإنسان. *ماجستير* ، 10. جامعة الجزائر.

برهان غليون. (2006). بيان من أجل الديمقراطية. *ط، 5*، 14. بيروت: المركز الثقافي العربي.

بورتسكي أيوردفسكي. (1987). *الصحافة التلفزيونية*. (ابتسام علوان، المترجمون) بغداد، العراق: منشورات وزارة الثقافة.

تومي رفيق. (2012، 2013). إشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر. 54. (جامعة السليمانية، المحرر)

جون ديوي. (بلا تاريخ). مقولة.

حسين شعبان. (2009). *نوافذ و ألغام المجتمع المدني*. بيروت، لبنان: دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع.

روبرت هيليارد. (2003). *الكتابة للتلفزيون و الإذاعة* (الإصدار ط، 1). (مؤيد حسن فوزي، المترجمون) دار الكتاب الجامعي.

سعيد عبد الحفيظ. (2007). المواطنة حقوق و واجبات. القاهرة، مصر: مركز الدراسات الحقوقية و الدستورية.

سورة البقرة، آية 42. (بلا تاريخ).

شرقي خروبي، و آن شيفمان (المخرجون). *مدرسة التغيير* [فيلم سينمائي].

عاصم علي الجردان. (2009). معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية. *سري للغاية نموذجا ماجستير* ، 39. جامعة الشرق الأوسط كلية الآداب.

عبد الكريم بكار. (2011). *حول التربية و التعليم* (الإصدار ط 3). دمشق، سوريا: دار القلم.

عزمي بشارة. (1997). واقع فكرة المجتمع المدني. *قراءة شرق أوسطية، إشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي* ، 391. رام الله: مركز ف لدراسة الديمقراطية.

كريمة الطائي، و حسين الدريدي. (2010). *حقوق الإنسان و حرياته الأساسية في المواثيق الدولية و بعض الدساتير العربية*. عمان: دار آية للنشر و التوزيع.

محمد العدناني. (1984). *معجم الألفاظ اللغوية المعاصرة*. بيروت: مكتبة لبنان.

محمد بن مكرم بن منظور. (1414). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

محمود عبد الرؤوف كامل. (1995). *مقدمة في علم الإعلام و الإتصال بالناس*. القاهرة، مصر: مكتبة نهضة الشرق.

نهلة عبد الرزاق. (بلا تاريخ). دراسة تحليل مضمون الأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة. *مجلة كلية الآداب* (98)، صفحة 76.

هانس غرليس. (1919). مصطلح الفيلم الثقافي. ألمانيا.

هلال ناتوت. (2009). *التوثيق الإعلامي*. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

وثيقة المدينة المنورة أو دستور المدينة. (بلا تاريخ).

يوسف عياد و آخرون. (2008). *حقوق الإنسان في الحياة التربوية، الواقع و التطلعات*. عمان، الاردن: دار المناهج للنشر و التوزيع.